|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **جامعة الأزهر - غزة** |  | **Al azhar university -Gaza** |
| **كلية الآداب والعلوم الإنسانية** | **Faculty of Arts and Humanities** |

شرح نونية أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس ومدنها

**إعداد الطالبة**

**نداء أكرم محمد المكاوي**

**إشراف الدكتورة**

**ناهد القايض**

**الفصل الدراسي الثاني**

**2021**

**المقدمة:**

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد الصادق الأمين المبعوث رحمةً للعالمين، أما بعد:

يعتبر فن رثاء المدن والممالك الزائلة موضوعاً جديداً ظهر في الأدب الأندلسي لكنه مع ذلك يضرب بجذوره إلى العصر الجاهلي فكما هو معروف أنه لا بد أن يكون لكل إبداع تمهيد أو جذور، وجذور هذا الفن ما كان سائداً في العصر الجاهلي من وصف الأطلال والآثار الدارسة، وأيضاً في العصر العباسي يوجد الميمية الرائعة لابن الرومي في بكاء البصرة وأهلها عندما أحرق الزنج قصورها وعاثوا فيها فساداً من قتل ودمار خراب.

وهذا الفن الجديد (أي فن رثاء المدن والممالك الزائلة) انتشر انتشاراً واسعاً وأبدع فيه الشعراء الأندلسيون نتيجة فزعهم لما رأوه من سقوط مدنهم الواحدة تلو الأخرى.

وفي هذا التكليف سأتحدث عن واحدة من روائع قصائد رثاء المدن والممالك الزائلة وهي نونية الرندي التي نظمها لهوله وحزنه لما أصاب الأندلس، فنظم نونيته الرائعة التي تعكس مشاعره وحزنه لمصاب الأندلس الجلل بعاطفة صادقة ملتهبة، كما أنه استثار فيها واستنهض همم المسلمين لنصرة إخوانهم الأندلسيين.

وأرجو من المولى تعالى أن أكون موفقةً لما سأعرض في هذا التكليف.

* **شرح أبيات قصيدة النونية لأبي البقاء الرندي:**

نظم أبو البقاء هذه النونية التي تعتبر من أروع أشعاره لهوله لما حل بالأندلس بسقوط مدنها حيث امتلأت نفسه حزناً وأسى وهاجت عواطفه من هذا المصاب الجلل، وفي هذه القصيدة عدد محاسن الأندلس وذكر مصائبها ومآسيها، كما استثار واستنهض الهمم لنصرة الإسلام والمسلمين.

وابتدأ الشاعر هذه القصيدة بأبيات تجري مجرى الحكمة وهذا الأمر سائد عند الشعراء في هذا اللون (الرثاء وخاصة رثاء المدن والممالك) فكانوا يستهلون قصائدهم بالحكم والعبر والتأمل في الحياة وذلك لأخذ العبر والعظات من هذا الزمن المتقلب، والشاعر ذكر لنا في قصيدته أن كل شيء سيزول لا محالة فدوام الحال من المحال، وفي مقدمته الحكمية نفذ إلى جوهر الأشياء حيث اعتمد على عنصر المقابلة، فقابل بين التمام والنقصان وبين الفناء والبقاء وبين السرور والحزن.

والشاعر في قصيدته حذر الناس من الانخداع بالدنيا ونعيمها لأنه زائل لا محالة وكل شيء إذا تم لا بد أن ينقص وهذه حكمة قديمة عند العرب وهي فكرة النقصان بعد التمام، كما بين الشاعر أن الدنيا متقلبة لا تدوم على حال من الأحوال فالمسرة والإساءة لا يدومان لأحد وأكد الشاعر على زوال الدنيا التي لا يخلد فيها إنسان، وضرب الشاعر مثالاً على ذلك بملوك اليمن القدامى الذين زال ملكهم بعد ما تمتعوا به من عز ومجد، وأشار الشاعر إلى أن الدهر مليء بالمصائب المتعددة ومهما عظمت هذه المصائب فإنه يأتي ما يذهب شدتها إلا مصاب الأندلس الجلل الذي اهتزت لشدته الجبال الراسية كجبل أحد وثهلان، وفصّل الشاعر في حديثه عن مصاب الأندلس ومدنها الساقطة وهي بلنسية ومرسية وشاطبة وجيان وكان مستنكراً لهذا الأمر شديد الحزن والاستغراب لما آلت إليه هذه المدن، وذكر الشاعر أن قرطبة هي منارة الأندلس لكثرة دور العلم والمعاهد بها، كما نعت إشبيلية بحمص لشبهها بحمص الشام وأشار إلى جمالها بما تحويه من بساتين ومتنزهات وجريان الوادي الكبير بها بعد خروجه من قرطبة، وهذه المدن الجميلة الساقطة هي عماد دولة الإسلام في الأندلس ولسقوطها بكت الشريعة الإسلامية بكاء الحبيب الولهان المفارق لأليفه، فالمدينة خلت من مسلميها وحل محلهم الإسبان كما أن مساجدها حُولت إلى كنائس ومآذنها بُدلت بالنواقيس والصلبان، فهذا المصاب لهوله أثر على الجمادات كما الكائن الحي والإنسان المسلم، فالمنابر والمحاريب أنّت وبكت من هذا المصاب الجلل، وفي هذه الأبيات أثار الشاعر العاطفة الدينية ثم عاد مرة أخرى للنصح والإرشاد لأخذ العبر والعظات فحذرنا مرة أخرى من الانخداع بالدنيا ونعيمها لأنه لا يدوم لأحد وبين ذلك بفقدهم لإشبيلية بعد ما عاشوه فيها من حياة هنيئة رغيدة، فهذا المصاب الجلل ليس له نظير وستبقى آلامه حية في الذاكرة أبد الدهر فلا يستطيع أن يُنسي ويزيل هذا المصاب شيء.

ثم انتقل الشاعر إلى موضوع آخر وهو استنهاض همم المشرق لنصرة إخوانهم الأندلسيين، فبين شجاعتهم وفروسيتهم وركوبهم الخيل الأصيلة وحملهم السيوف المرهفة اللامعة لكنهم كانوا يعيشون في ترف ولا يأبهون لمصاب الأندلس الجلل فلذلك الشاعر وبخهم واستهزأ بهم بسؤالهم هل كانوا يعرفون ما حل بالأندلس وأهله؟ ففرسان وشجعان الأندلس دافعوا عنها حتى سقطوا جرحى على أرض المعركة وأصبحوا ضعفاء يطلبون النجدة والشاعر هنا وبخ المسلمين لعدم نصرتهم لإخوانهم الأندلسيين والأجدر بهم أن يتحدوا وألا يتفرقوا وأن يكونوا إخواناً في السراء والضراء، ولعدم نصرة المشارقة للأندلسيين تعجب وتساءل الشاعر هل فقد العرب المشارقة شهامتهم ورجولتهم ومروءتهم فلم ينصروا إخوانهم؟

والشاعر بين مرة أخرى كيف تبدل حال الأندلسيين من حال إلى حال فكانوا يعيشون في عز وكرامة ثم أصبحوا في ذل ومهانة فكانوا ملوكاً في بلادهم ثم أذلهم الإسبان، ولاستثارة نفوس المشارقة والمغاربة لمساعدة الأندلسيين رسم الشاعر صورة دقيقة حزينة تبين ما حل بالمسلمين وتستثير النفوس، فالطفل يُأخذ من أمه ليباع بيع العبيد كما تساق الطفلة الجميلة الوضاءة لتباع، وأيضاً بين كيف يأخذ الرجل الكافر قاسي القلب المرأة الجميلة كرهاً، فهذا كافٍ ليُمرض الإنسان ويبعث في قلبه الغم والهم إن كان في قلبه شيء من الإسلام والإيمان.

ومن الشرح السابق لاحظنا أن القصيدة صورت إحساس الشاعر المجروح الحزين لمصاب الأندلس فكانت القصيدة مؤثرة قوية مطبوعة بطابع الحزن والأسى حيث كانت العاطفة الحزينة تسيطر على القصيدة من أولها إلى آخرها، وكانت معانيها ذات تأثير عميق قوي على النفوس ومفرداتها قوية واضحة خالية من التعقيد وأيضاً لاحظنا اعتماد الشاعر على أسلوب الاستفهام الخارج عن معناه الحقيقي إلى التوبيخ والاستنكار والتعجب، كما لاحظنا صدق عاطفة أبي البقاء الرندي، لذلك تعد هذه القصيدة من أروع مراثي المدن والممالك الزائلة.

وختاماً لا يسعني إلا ذكر آية كريمة من كتابٍ حق تنزه عن الباطل **(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)**. سورة هود آية 88.